سلسلة حضارتنا المصرية المعجزة

٦

تَساؤلاتٌ حوْلَ الرُّؤيَةِ المِصْرِيَّةِ للحَضَارَةِ المِصْرِيَّةِ

محمد يونس هاشم

جرافيك/يوسف محمد حسين

دار نوبل للنشر والتزيع

سلسلة

سلسلة حضارتنا المصرية المعجزة

اسم المؤلف هاشم ، محمد يونس

اسم الكتاب سلسلة حضارتنا المصرية المعجزة

الجرافيك يوسف محمد حسين

دار النشر دار نوبل للنشر والتوزيع

ت : ٠١٢٠٣٢٠٩٠٥ - ٠١١٥٩٦٠٥٠٧١

فهرسة أثناء العمل

رقم الإيداع ١٥٦٠١٣

العنوان ٩٠٠

الصفحات ١٦ ص - ٢٤ x ٢٤ سم

تساؤلاتٌ حوْلَ الرُّؤيَةِ المِصْرِيَّةِ للحَضَارَةِ المِصْرِيَّةِ



إدريس في مصر

الثُّلاثَـاءُ ١٨ يُوليُو ٢٠٠٠ وَفِي صَالُونِ د. سَـيدِ كَرِيمِ ، الـذِّي رَحَّبَ بِالْحُضُورِ وَشَـكَرَهُم عَلَىٰ سُـؤَالِهُم عَنْهُ ثُـمَّ قَالَ : لَنْ أُطِيـلَ اَلْحَدِيثَ حَتـىٰ يَتَمَكَّنَ اَلأُسْتَاذُ يُونِسُ مِنْ مُواصِلَةِ حَدِيثِهُ وَإِجَابَةَ أَسْئِلَتَكُم .

- الأستاذ : يونس :

- خلُصْنَـا فِي اَلْمُحَاضَرِةِ اَلسَّـابِقَةِ إِلَىٰ السِّرِّ وَرَاءِ الْحَضَـارَةِ الْمِصْرِيةِ اَلْقَدِيمَـةِ التِّي بَدَأَتْ كَامِلَـةً مُتَطَوِّرَةً وَبِدُونِ مِثَالٍ سَـابِقٍ أَنَّ الْمَصْرِيـينَ اَلْقُدَمَاءَ بَنُوهَا بِتَعَالِيـمِ اللهِ تَعَالَىٰ وَشَرْعِيَتِـهِ فَقَدْ عَلَّمَ اللهُ تَعَالَىٰ آدَمَ أَسْـمَاءَ عَنَاصِرِ اَلأَرْضِ وَمَـا بِهَـا مَنْ مَخْلُوقَاتٍ كَـمَا عَلَّمه كُنْهَ اَلأَشْـيَاءِ وَخَصَائِصِهَا ، وَكَيفَ يَسْـتَخْدِمُهَا وَيَنْتَفِعُ بِهَـا ، كَمَا عَلَّمَ تَعَـالَىٰ إِدْرِيـسَ - نَبِيَ الْمَصْرِيـينِ وَأَوَّلَ اَلأَنْبِياءِ وَالرُّسُـلِ بَعْدَ آدَمَ وَشِـيثَ - فَـوقَ كُل ذَلِكَ الْكِتَابَـةَ بِالْقَلَمِ ، وَحِيَاكَةَ الثِّيَابِ ، وَعِلْمَ النُّجُومِ ، وَالْحِسَـابَ وَغَيرَهَا مِمَّا كَانَ سَبَباً فِي النَّشْأَةِ اَلْحَضَارَةِ اَلْمَصْرِيَّةِ كَامِلَةً مُتَطَوِّرَةً.

يَقُولُ اَلإِمَــامُ الْقُرْطُبِـــيّ : " إِدْرَيسُ عَلِيهِ السَّــلامُ أَولُ مَنْ خَطَّ بِالْقَلَــمِ وَأَولَ مَنْ خَــاطَ الثِّيَــابَ وَلَبِــسَ اَلْمَخِيــطَ ، وَأَولَ مَــنْ نَظَرَ فِي عِلْــمِ النُّجُومِ وَاَلْحِسَــابِ وَسَــيرِهَا. وَسُــمِّي إِدْرِيسُ لِكَثْرِةِ دَرْسِــهِ لِكِتَابِ اللهِ تَعَالَىٰ. وَأَنْزَلَ اللــهُ تَعالَىٰعَلِيهِ ثَلاثِينَ صَحِيفَةً " .

أَكْتَفِي بِهَذَا اَلْقَدْرِ وَيُسْعِدَنِي تَلَّقِي أَسْأَلتَكُم .

رَفَــعَ أَحَدُ الذَّينَ يَجْلُسُــونَ فِي الصَّــفِّ اَلأَولِ يَدَه يَطْلُبُ اَلْكَلمَةَ اِبْتَسَــمَ اَلأُسْــتَاذُ يُونسُ وَقَالَ : تَفَضَلَ يَا دُكْتُور حَسَن .

قَالَ د. حَسَــنُ : أَنَا كَمَا تَعْلَمُ أُسْــتَاذٌ بِكُلِيــةِ اَلآثَارِ وَمِنْ دِرَاسَــتِي وَتَدّرِيسِي لِلآثَارِ اَلْمَصْرِيِّــةِ أَعْلَــمُ أَنَّ عُلَمَاءَ اَلْمَصْرِيَــاتِ وَاَلْمُؤَرِخِــيِنَ يَجْمَعُون عَــلَىٰ أَنَّ أَهمَّ مَا تَمَيَّــزَتْ بِهِ الدِّيَانَــةُ اَلْمَصْرِيَّــةُ اَلْقَدِيمَةُ هُــو تَعَدُّدُ اَلآلِهَــةِ ، وَأَنَّهُــم هُم الذِّين أَنْشَئُوا حَضَارَتِهُم بِأَنْفُسِهُم وَلَمْ يُنْشِئَهَا لَهُمْ أَحَدٌ غَيرُ مَصْرِيٍّ .

- حضرتك تعلم أن علماء المصريات الذين يقرون بتعدد الآلهة المعبودة لدى المصريين القدماء يقرون في ذات الوقت بمعرفة المصريين القدماء التوحيد الخالص موجود دائماً مع تعدد الآلهة الواضح في العبادات المادية .

والمشكلة التي أوقعت علماء المصريات في هذا التناقض هو خطؤهم في ترجمة تراث المصريين القدماء ، فقد أخطأ المؤرخون في ترجمة كلمة " نيثر " التي ترجمت دائماً بمعنى إله رغم أنها قد تعني : إله ، أو ملك ، أو نبي ، أو كائن علوي ، فإذا أطلقت مثلاً على " رع " فإنها تعني اسماً من أسماء الله الحسنى مالك الملك أو إله الشمس ، وإذا أطلقت على " آمون " فتعني اسماً آخر هو الذي لا تدركه الأبصار. وإذا أطلقت على " بتاح " فتعني اسماً ثالثاً هو خالق الإنسان ، أما إذا أطلقت على " تحوت " فإنها تعني الرسول الموكل بحمل رسالة السماء إلى أهل الأرض .. وهكذا .

وكلمة " الرب" في اللغة العربية تطلق على الله تعالى، والملك ، والسيد ، والمربي ، والمصلح ... والسياق هو الذي يحدد المراد بكلمة رب .

وَلَقَدْ أَطْلَقَ سَـيدُنا يُوسـفُ لَفْظَ " رَبّ " عَلَىٰ سَـيدهِ فَهَلْ كَانَ يُوسـفُ النَّبِي بِنُ النَّبي بِنُ النَّبِي بِنُ النَّبي يَعْبُدُ سَـيدَهُ مِنْ دُونِ اللهِ أَو مَعَ اللهِ ، حَاشَاه .

{وَرَاوَدَتْـهُ الَّتِي هُـوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِـهِ وَغَلَّقَتِ الأَبْوَابَ وَقَالَـتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ} [يوسف:٢٣] .

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ فِي تَفْسِـيرِ اَلآيَـةِ وَكَانُوا يُطْلِقُـون "الرَّبُّ" عَلَىٰ السَّـيدِ وَالْكَبِيرِ، أَي: إِنَّ بَعْلَكِ رَبِي أَحْسَنَ مَثْوَاي . " .

كَذَلِـكَ كَلِمَـةُ " دُوا " التِّي تُرْجِمَـتْ عَادَةً بِمَعْنَـىٰ الْعِبَادَةِ رَغْم أَنَّهَـا قَدْ تَعْنِي : اَلْعِشْـقَ ، أَو الْحَمْـدَ ، أَو الدُّعَاءَ ، أَو التَّعْظِيـمَ ، أَو الْعِبَـادَةِ . وَمَعْنَاهَا يُحَدِدُهُ السِّـيَاقُ فَـإِذَا أُضِيفَتْ لِاسْـمٍ مِنْ أَسْـمَاءِ اللـهِ فَهِي تَعْنِـي الْعِبَـادَةَ ، أَمَّا إِذَا أُضِيفَـتْ لِتحُـوتَ ، أَو إِيمْحُوتِـبَ ، أَو مِينَـا، أَو إِخْنَاتُون فَتَعْنِـي التَّعْظِيمَ ، فَإِذَا أُضِيفَـتْ إِلَىٰ حَيوَانٍ أَو طَائِرٍ فَتَعْنِي الْحُبَّ أَو اَلامْتِنَانَ ، وَلا تَعَنِي الْعِبَادَةَ .

وَرُبَمَـا فِي فَـتَرَاتِ ضَعْفِ الْعَقِيـدَةِ تُعْبَد هَـذِهِ الرُّمُوزُ عَلَىٰ أَنَّهَـا هِيَ الإِلَهُ نَفْسُـهُ ، وَلَكِن لَيسَ هَـذَا هُوَ حَالُ عَقِيدَةِ التَّوحِيدِ عِنْدَ الْمَصْرِيين دَائِماً .

إِنَّ دَعْـوَةَ التَّوحِيدِ قَدْ بَـدَأَتْ فِي مَصْرَ وَاعْتَنَقَهَـا الْمَصْرِيُون مُنْذُ عَهْدِ إِدْرِيسَ عَلِيهِ السَّـلَامُ. وَلَقَـدْ ظَلَّتْ عَقِيدَةً رَاسِخَةً نَجِدُ أَصْدَاءَهَا تَتَرَدَّدُ بِقُوةٍ عَلَىٰ مَرِّ الْعُصُورِ وَالْعُقُودِ.

وَسِـيَادُتك تَعْلَـمُ أَنَّ كَثِيراً مِنْ الْوثَائِقِ الْمَصْرِيَّةِ الْقَدِيمَةِ كَكِتَابِ الْمَوتَىٰ ، وَنَشِـيدِ الشَّـمْسِ مَلِيئَـةٌ بَآيَاتِ التَّوحِيد للهِ تَعَالَىٰ.

يَقُولُ رَع عَنْ نَفْسِـهِ : " إِنِّي أَنَا الذَّي خَلَقْتُ السَّـمَاءَ وَالأَرْضَ وَأَرْسَـيتَ الْجِبَالَ . أَنَا الذِّي خَلَقْتَ السَّـاعَات وّمِنْ ثَمَّ جَاءَتْ الأَيَامُ إِلَىٰ الْوجُودِ " .

وَيَقُـولُ " رَع " عَـنْ نَفْسِـهِ أَيضاً إِنَّهُ : " الإِلَهُ الْمُقـدَّسُ الذِّي جَاءَ إِلَىٰ الْوُجُود بِنَفْسِـهِ .. الإِلَـهُ الأَزَلِي الذِّي وُجِدَ فِي الْبَدْءِ وَالذِّي رَفَعَ السَّـمَاءَ وَسَـوَّىٰ الأَرْضَ .. الإِلَهُ الذِّي لا يُنَازِعُ سُـلْطَانَهُ مُنَازِعٌ " . وَ" رَع " هُو الِاسْـمُ الأَشْهَرُ الـذِّي عُرِفَ بِهِ الإِلَهُ الْوَاحِدُ الأَحَدُ وَهُو مَا يُقَابِلُ عِنْدَنَا لَفْظَ الْجَلالَة " الله " .







أَمَّا أَنَّ هَذهِ الرُّؤيَّةَ اَلإِسْلامِيَّةَ لِلْحضَارَةِ اَلْمَصْرِيَّةِ تَنْفِي بِنَاءَ الْمصْرِيين حَضارَتِهم بأَنْفِسِهُم. فَالْحَقِيقَةُ أَنَّ أَنْبِياءَ اللهِ عَلَّمُوا الْمَصْرِيين كَيفَ يَبْنُوا الْحَضَارَةَ كَانُوا مَصْرِيين ، وَأَنَّ الذِّين سَاعَدُوهُم فِي البِنَاءِ كَانُوا مَصْرِيين كَذَلِك .

رَفَعَ رَجلٌ مُلْتَحٍ يَدَهُ وَسَمَحَ لَهُ اَلأُسْتَاذُ يُونِسُ بِالْكَلامِ فَقَالَ فِي لَهْجَةٍ لا تَخْلُو مِنْ حِدَةٍ : كَيفَ تَقُولُ إِنَّ الْفَرَاعِنَةَ كَانُوا مُؤمِنِين بِاللهِ تَعَالَىٰ، وَالْقُرآنُ الْكَرِيمُ يَصِفُهُم بِالْكُفْرِ وَالطُّغيَانِ .

اِبْتَسِـمَ اَلأُسْـتَاذُ يُونسُ وَقَـالَ : أولاً لَيسَ هُنَـاكَ فَرَاعِنَةٌ إِنَّمَا هُـو فُرْعَونٌ وَاحِـدٌ وَهُو كَمَا يَقُولُ مُعْجَمُ لِسَـانِ الْعَـرَبِ " فِرْعَـوْن عَلَـمٌ أعجميٌّ كَإبْلِيسَ ، وَمَـعَ اَلأَسَـفِ أَنَّ كَلِمَةَ " فُرْعَوْن " قَدْ شَـاعَتْ خَطَأً عَـلَىٰ أَنَّهَا لَقَبٌ لِـكُلِّ حُكَامِ مَـصْرَ الْقُدَمَاءِ وَمِنْ كَـثْرَةِ تِكْرَارِ هَـذِهِ اَلْمَعْلُومَةِ - الْخَاطِئَـةِ - تَقَرَّرَتْ وَأَصْبَحَتْ مِنَ الْمُسَـلَّمَاتِ التَّـي لا يُفَكِّرُ أَحَدٌ فِي مُنَاقَشَـتِهَا أَو التَّعَـرَّضِ لَهَا، وَوُصِفَـتْ اَلْحَضَارَةُ اَلْمَصْرِيَّـةُ بِالْحَضَـارَةِ الْفُرْعُونِيَّةِ، وَوُصِفَ الْمَصْرِيُونَ بِالْفَرَاعِنَةِ !





إِنَّ كَلِمَــةَ " فُرْعَــون " ذُكِرَتْ " ٧٤ مَرَّةً " فِي الْقَــرَآنِ الْكَرِيمِ وَجَمِيعُهَــا تتَكَلَّمُ عَنْ فُرْعَــون مَلِكِ مِــصْرَ زَمَن مُوسَىٰ عَلَيهِ السَّــلامُ فقطْ فَقَطْ ، كَمَا أَنَّ كَلِمَــةَ " فُرْعَون " لَمْ تَأْتِ إِلا مُفْــرَدَةٌ " فُرْعَون" وَلَمْ تُجْمَــعْ قَطْ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيــمِ وَالْحَدِيثِ الشَّرِيفِ "فَرَاعِنَــةُ" ، كَمَا أَنَّهَا لَــمْ تُعرَّفْ أَبداً بِــ " أَلْ ، أَو الإِضَافَة " كَأَيِّ لَقَــبٍ فَلَمْ يُذْكَرْ وَلَــو مَرَّةً وَاحِدَةً " الْفُرْعَون " ، أو " فُرْعَون مصْرَ " أو " فُرْعَون مُوسَىٰ " .

يَقُــولُ تَعَالَىٰ{وَقَــالَ فِرْعَــوْنُ يَــا أَيُّهَــا الْمَلأُ مَــا عَلِمْتُ لَكُــمْ مِنْ إِلَــهٍ غَيْرِي}

[القَصَصُ : ٣٨] .

اِبْتَسـمَ اَلأُسْـتَاذُ يُونسُ وَقَـالَ : أولاً لَيس هُنَـاكَ فرَاعِنَةٌ إنَّمَا هُـو فُرْعَونٌ وَاحِـدٌ وَهُو كَمَا يَقُولُ مُعْجَمُ لِسَـانِ الْعَـرَبِ " فِرْعَـوْن عَلَـمٌ أعجميٌّ كَإبْلِيس ، وَمَـعَ اَلأَسَـفِ أَنَّ كَلِمَةَ " فُرْعَوَن " قَدْ شَـاعَتْ خطَأً عَـلَىٰ أَنَّهَا لَقَبٌ لِـكُلِّ حُكَام مَـصْرَ الْقُدَمَاءِ وَمِنْ كَـثْرِةِ تِكْرَارِ هَـذِهِ اَلْمَعْلُومَةِ - الْخَاطِئَـةِ - تَقَرَّرَتْ وَأَصْبَحَتْ مِنْ الْمُسَـلَّمَاتِ الَّتَّـي لا يُفَكِّرُ أَحَدٌ فِي مُنَاقَشَـتِهَا أَو التَّعَـرَّضِ لَهَا، وَوُصِفَـتْ اَلْحَضَارَةُ اَلْمَصْرِيَّـةُ بِالْحَضَـارَةِ الْفُرْعُونِيَّةِ، وَوُصِفَ الْمَصْرِيُون بِالْفَرَاعِنَةِ !





إِنَّ كَلِمَــةَ " فُرْعَــون " ذُكِرَتْ " ٧٤ مَرَّةً " فِي الْقَــرآنِ الْكَرِيمِ وَجَمِيعُهَــا تتَكَلَّمُ عَنْ فُرْعَــون مَلِكِ مِــصْرَ زَمَن مُوسَىٰ عَلَيهِ السَّــلامُ فقطْ ، كَمَا أَنَّ كَلِمَــةَ " فُرْعَون " لَمْ تَأَتِ إِلا مُفْــرَدَةٌ " فُرْعَونٌ" وَلَمْ تُجْمَــعْ قَطْ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيــمِ وَالْحَدِيثِ الشَّرِيفِ "فَرَاعِنَــةُ" ، كَمَا أَنَّهَا لَــمْ تُعرَّفْ أَبداً بِــ " أَلْ ، أَو الإِضَافَة " كَأَيِّ لَقَــبٍ فَلَمْ يُذْكَرْ وَلَــو مَرَّةً وَاحِدَةً " اَلْفُرْعَون " ، أو " فُرْعَون مِصْرَ " أو " فُرْعَون مُوسَىٰ " .

يَقُــولُ تَعَالَىٰ{وَقَــالَ فِرْعَــوْنُ يَــا أَيُّهَــا الْمَلأُ مَــا عَلِمْتُ لَكُــمْ مِنْ إِلَــهٍ غَيْرِي}

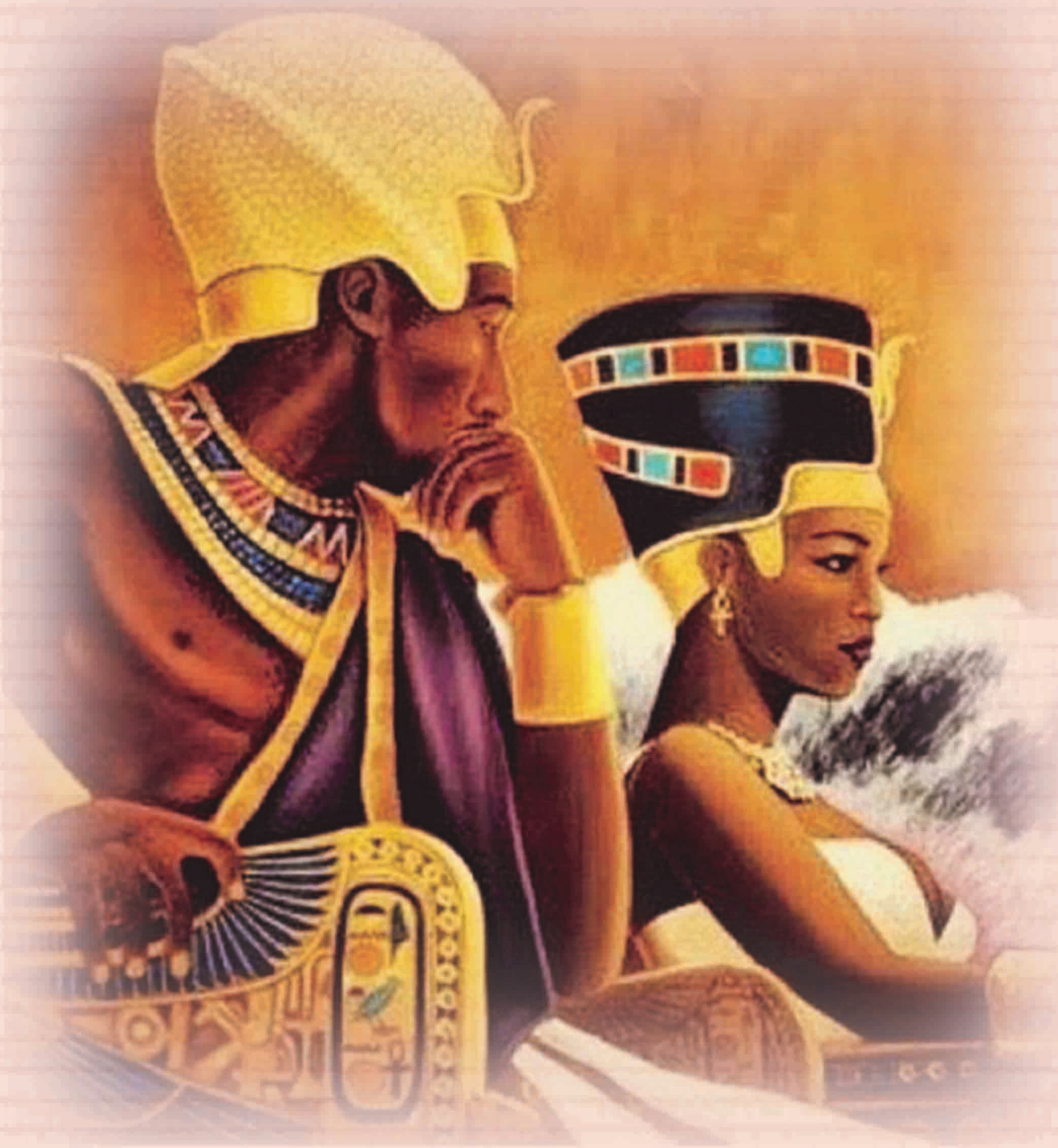
[القَصَصُ : ٣٨] .

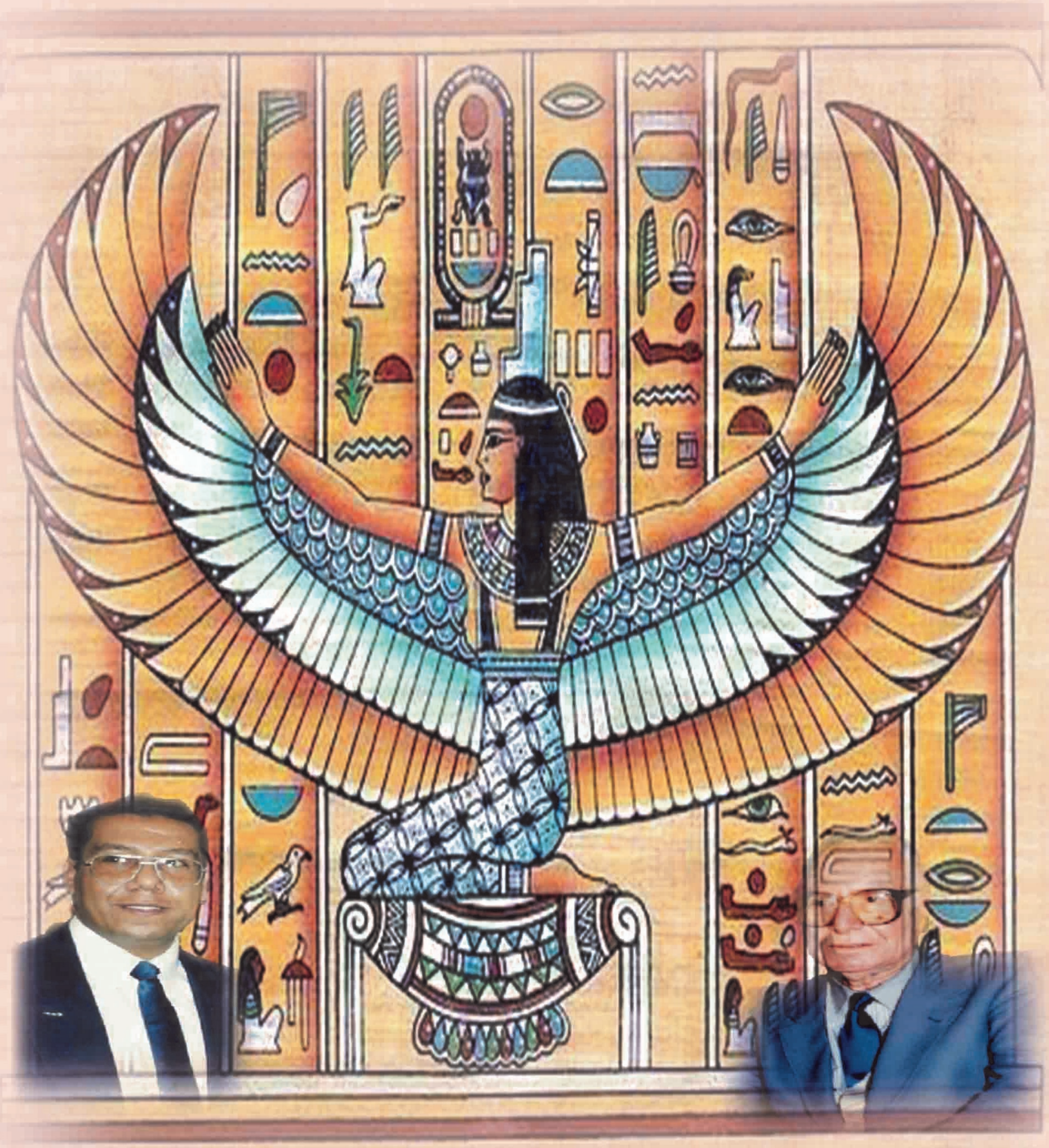
وَلْنَسَأَل د. حَسَن عَنْ كَلِمَةِ فُرْعَون .

قَــالَ د. حَسَــنُ : الْحَقِيقَةُ أَنَّهُ مِــنْ اَلْمُتَّفقِ عَلِيَهِ بَــيِنَ عُلَمَاءِ اَلْمَصرِيَــاتِ أَنَّ كَلِمَةَ فُرْعَون " لَــمْ تَظْهَــرْ إِلا فِي الدَّولَــةِ الْحَدِيثَــةِ ، وَاخْتَلَفُــوا فِي زَمَــنِ ظُهُورِهَا مَا بَــيِنَ ١٥٥٠ ق.م ، و١٠٠٠ ق.م " .

أَكْمَلَ اَلأُسْتَاذُ يُونسُ :

وَالرَّاجِــحُ عِنْدَ عُلَــمَاءِ الْمصْرِيَاتِ الْغَرْبِيِــين وَالْمَصْرِيين أَنَّ مَلِكَ مَصرَ_ زَمَنُ سَــيدنا مُوسَىٰ_ كَانَ " رَعْمَسِيس اَلثَّانِي " الذِّي اِدَّعَىٰ اَلإِلُوهِيَّةَ وَأَهْلَكَهُ اللهُ غَرَقاً.





ثُــمَّ قَالَ وَهُو يَبْتَســمُ : أَمَّــا عَنْ نِظَامِ الْحُكْــمِ عِنْدَ الْمصْرِيــين اَلْقُدَمَاءِ فَهَــذَا أَمْرُ شَرَحهُ يَطُولُ ...

ضَحكَ الْجَمِيعُ وَقَالَ د. سَيدُ : إِلَىٰ الأُسْبُوعِ الْقَادِمِ إِنْ شَاءَ اللهُ .

قَالَ د. وَسِــيمُ السِّــيسِي : أَنَا أَدْعُو السَّــادَةَ الْحُضُورَ جَمِيعــاً إِلَىٰ صَالُونِي الثَّقَافِي الشَّــهْرِي فِي السَّابِعَةِ مِنْ مَسَاءِ الْجُمّعَةِ ٢٨ يُوليُو وَمَقَرُّ الصَّالُون بِمَنْزِلِي ٢ شَارِع عَمْرُو الْمُتَفرِعِ مِنْ شَارِعِ النَّصْرِ، خَلْفَ مَكْتَبَةِ الْمَعَادِي .

***